الرعب في نفسي حتى ارتجفت عظامي والآن أثرت هذه الأحداث بي فتبت من أعمالي السيئة وأنبت إلى الله وطلبت الغفران من رجال الدين ، وبإنابتي عفوت أيضاً عن البويار والأمراء » .

وهكذا تبدو سمة جديدة في حياة إيڤان بعد أن نضجت ثمار علاقاته الطويلة مع المتروبوليت ماكاري والتأثير الروحي للكاهن سيلڤيستر دون أن ننسى نفوذ اناستاسيا المهدىء اللطيف لأننا لا ينبغي علينا أن نجهل ماكان لها من نفوذ ، فقد كان إيڤان في أولى سنوات زواجه من هذه المرأة الفاضلة التي تضاف إلى كل صفاتها الرقة والإنسانية والتقى والجمال . ونحن بطبيعة الحال نفترض هذا النفوذ افتراضاً دون أن نتمكن من البرهان عليه . ولم تكن القيصرة في عزلتها ضمن الييريم(*) تستقبل رجال الدولة لتحدثهم أو تقدم لهم النصح ، كما أنها لم تكن غالباً تتناول الطعام مع القيصر وسط حاشيته وإنما كانت تعيش مختبئة عن العيان لا يربطها أي احتكاك بالرجال إذا استثنينا زوجها إيڤان وفي بعض المناسبات أخاه يوري والمتروبوليت الشيخ أو مرشدها الديني . ففي ذلك الوقت كانت المرأة ما أن تتزوج حتى تدخل فيما يمكن تسميته حالة من العبودية المقدسة .

وكان الوقت قد حان للاحتفال بزواج جديد . فقد فكر إيڤان أن أخاه الصغير يوري لابد أن يتمتع بما تمتع به هو من سعادة فقاده إلى المتروبوليت ليتلقى نصائحه وبركاته . واجتمع البلاط من جديدلانتخاب زوجة للأمير من بين بنات روسيا الشابات « وكان للأمير الحق في اختيار من تعجبه من بينهن سواء رضيت به أو لم تفعل . وعندما اجتمعت المرشحات وقفت عينا الأمير عند الأميرة أوليانا التي احبها من أول نظرة وقد سعد إيڤان بذلك كل السعادة وأسرع في استعدادات الزواج . وعندما تم الاستعداد لكل شيء نُصب في اليوم المحدد عرشان في قاعة

---

* الييريم Ierem القسم من المسكن المخصص للنساء ، ومن الواضح أنه مشتق من كلمة « حريم » المألوفة في بيوت العثمانيين — المترجم —